اللغة وحتمية التغير الدلالي

د. مرازي حكيمة
كلية الآداب واللغات والفنون،
جامعة الجيلالي ليابس — سيدي بلعباس

اللغة....ذلك الوجود المتفرد الذي أرق الفلاسفة ، أرادوا أن يبحثوا عن مفهوم له فوجدوه صعب المراس لا لشيء إلا لأنه مرتبط ارتباطا طرديا بالإنسان ، أو بمعنى أدق هي الهوية الجامعة لبني البشر ، فإذا تتبعنا تاريخ الخلق ، وجدنا أن وجودها أسبق من وجودهم بآلاف الأزمان ،كيف لا وأول خلق الله هو القلم ، وما اللغة إلا من آثار القلم ، ومن ذلك نتوصل إلى أهميتها في الوجود الإنساني ، لأنها القالب الذي يعرض به حركاته و انفعالاته .

1): أهمية اللغة في حياة الإنسان

تعمل اللغة على «كشف ما في الفكر البشري من معان و تصورات، فغايتها من الناحية الوظيفية التعبير عن عملية التفكير لدى الإنسان بما يفضي إلى تطابق المضمون مع مادة العقل» [1]، وبهذا تظهر علاقة طردية غاية في الأهمية، وهي حتمية اتصال الفكر باللغة ،«ففي كل مجتمع، مهما كانت

طبيعته وسعته ،تؤدي اللغة دورا ذا أهمية أساسية، إذ هي أقوى الروابط بين أعضاء هذا المجتمع، وهي في الوقت نفسه رمز إلى حياتهم المشتركة، وضمان لها ...فهي في مرونتها ، وامتلائها بالظلال الدقيقة للمعاني ، تصلح لاستعمالات مختلفة متشعبة وتقف موقف الرابطة التي توحد أعضاء الجماعة فتكوّن العلاقة التي بها يُعرفون،والنسب الذي إليه ينتسبون» [2] فهي مرآة الفكر، وترجمانه، والثياب التي تكتسي بهـــا معانيه وتوافق أهواءه ومراميه .

وبناء عليه جعل الناس من اللغات تعبيرا عن ملابسات أحوالهم الفكرية والاجتماعية وخاصة الـروحية ، طريقا مؤديا إلى التعبير عن مكنوناتهم النفسية ، فراحوا ينتقون من الألفاظ ما يساعدهم على ذلك، فإذا قصُر اللفظ أو ضعفت قدرته التعبيرية عن الإفهام أحالوه وهجروه،«وهيهات من اللفظ أن يأخذ حظه من السيرورة على الألسن إلا إذا صادف هوى في النفوس، ولاءمته استجابة عامة بين الناس في مقامات الكلام،فغلبة اللفظ في الاستعمال أسطع برهانا على صلاحيته، وأقوم دليلا على صدق الحاجة إليه،بل إن غلبة استعمال اللفظ تثبت أنه خلية حية في بنية اللغة» [3]،ومن هنا نصل إلى أنه للغة وجود حتمي يجب أن يتساير مع وجود البشر،لكن للبشر القدرة على الانتقاء والتخير من بحرها بما يوافق أهواءهم وميولاتهم ، وبهذا فهي قائدة ومقوده؛قائدة من حيث أن وجود الإنسان لا يكتمل

إلا بوجودها،مقوده من حيث أن سيرورتها الحياتية تتحكم فيها الجماعة المتكلمة.

ومادامت كذلك، فقد اتسمت بسمة الاجتماعية، وبالتالي «فاللغة في نهاية المطاف، هي أحد مفاعلات الوجود الإنساني،إذ هي طرف المعادلة النوعية لثبوت خصوصية الإنسان، ولما كان الإنسان حصيلة تعادلية بين طرفي وجود المادة زمانا و مكانا،فإن معادلة التفاعل تنصهر فيها عناصر الإنسان، واللغة والزمان و المكان... »[4]،فخصوصية اللغة لا تختلف عن خصوصية الإنسان،فكل ما يؤثر فيه طردا يؤثر فيها،حتى أن الأسباب التي تُحدث التغيير فيهما هي ذاتها، بل حتى أن قابلية التغيير فيهما كبيرة، وبالتالي،«باتت اللغة واحدة من أشد الظواهر الإنسانية تشعبا و تعقيدا واتجاها،حتى أضحت من الأمور الصعبة في تحديد مفهوم لها،ويعود ذلك لكونها تعد من أهم مميزات الإنسان الاجتماعية والحضارية،لذا تعرّف بأنها ظاهرة،ليس كأي ظاهرة،وإنما ظاهرة فكرية-عضوية خاصة بالإنسان دون غيره »[5]فهي ظاهرة فكرية من حيث أن موضوعها ومادتها الأفكار،تجسدها وتخرجها،وظاهرة عضوية من حيث صلتها بالإنسان دون غيره.

وبالتالي ،فهي ظاهرة من ظواهر الحياة،وقانون من قوانين المجتمع،وناموس من نواميس البشرية، ومادامت كذلك فهي

تتغير بتغير فكر المجتمع وثقافته، وبتغير ميوله و أهوائه ،ووسيلة اجتماعية تستعمل لتبليغ الأفكار «قد تستعمل الألفاظ في معانيها التي وضعت لها، وأحيانا تنحرف بها إلى معان جديدة؛لأن الحياة متجددة لا تتوقف،والألفاظ محدودة،فكان لابد أن تنقل معاني الألفاظ لتعبر عن هذا الجديد» [6]

2)-حتمية تغير اللغة :

مادامت اللغة ظاهرة إنسانية،أو كما اصطلح عليها اللغويون ظاهرة اجتماعية،ومادام الإنسان دائم التغير في كل أحواله المادية و المعنوية، كان لزاما على اللغة أن تساير هذا التغير الدائم، بحكم أنها تعبير عن الأحوال المختلفة للإنسان، فالمفردات «لا تستقر على حال، لأنها تتبع الظروف، فكل متكلم يكوّن مفرداته من أول حياته إلى آخرها بمداومته على الاستعارة ممن يحيطون به، فالإنسان يزيد من مفرداته ولكنه ينقص منها أيضا ويغير في حركة دائمة من الدخول و الخروج» [7]،وهكذا يخلق المتكلم -أو الجماعة المتكلمة-تلك الحركية المستمرة في عمق اللغة التي يتكلمون بها ،فننعت كل تلك الحركية و الدينامية المتجددة في اللغة بالتطور اللغوي ، أو التغير اللغوي .

3)-مفهوم التغير الدلالي :

التغير الدلالي هو أن تتعاقب مجموعة من الدلالات أو المعاني على الكلمات وفقا لظروف معينة سواء كانت هذه الظروف داخلية

في متن اللغة أو خارجية يفرضها السياق الاجتماعي و النفسي للجماعة المتكلمة بهذه اللغة، وهو ظاهرة طبيعية تمس كل اللغات دون استثناء مع تفاوت في درجة التغير و مساره من لغة إلى أخرى.ويرى **ميشال بريال**أن كل التغيرات التي تحدث في مدلولات اللغة عبارة عن اصطلاحات مقصودة أو شبه مقصودة، تعتمد على جهود يقوم بها الناطقون بهذه اللغة وتسير بها دائما إلى حيث الكمال [8]...،بل إن التطور الدلالي هو من علامات حيوية اللغة، ومؤشر هام يدل على وظيفيّتها .

وبناء على ما سبق، تتخذ اللغة التغيير كحتمية لامفر منها، وليس لأيٍّ كان أن يتحكم في هذا المنحى التطوري للغة؛«لأنها تتفاعل مع الزمن، فترضخ إلى سلطانه عبر مواكبتها له في وجودها، وهو ما يؤول إلى إذعان اللغة لبعد التعاقب في كل وجود مادي يتراهن مع قيدي الزمان والمكان، والنتيجة التي تفرض نفسها تبعا لذلك هي انتفاء سمة الإطلاق عن اللغة، فهي ليست وجودا مطلقا،وإنما هي وجود مقيد،يتقيد به كل وجود مادي، وبالتالي ينتفي عن اللغة أن تكون قيمة مطلقة* في حد ذاتها » [9]،فتكون بذلك ذات بعد أنطولوجي** خاضع للمؤثرات الخارجية لاسيما الزمان .

والتغير اللغوي له أوجه عدة وتمثّلات مختلفة يتجسد بها، إلا أن أهم التغيرات على الإطلاق هو التغير الدلالي،والذي أولاه الدارسون اللغويون في كل الأزمان أهمية بالغة، وماذاك إلا لحساسية جانب الدلالة،وتأثيره الطاغي على اللغة، لان غاية اللغة ليست المفردات بقدر ماهي معان يراد التعبير عنها.

يتحكم التداول و الاستعمال بشكل مباشر في سيرورة تغير اللغة، ويكون هذا التغير غير ظاهر على المدى القصير، ولكن عندما تدرس اللغة دراسة تزامنية تطورية نلمس تغيرات لم يُتفطن لها ،فنقول أنه لحق باللغة تطور، وقد نستعمل مصطلح التطور بدل التغير ونحن لا نقصد أي نظرة تقييميّة.لهذه الحادثة ؛أي أنه «لا يحمل أي شحنة معيارية لا إيجابا و لا سلبا، وإنا هو مأخوذ من معنى أنها تتغير، إذ يطرأ على بعض أجزائها تبدل نسبيّ في الأصوات والتراكيب من جهة، ثمّ في الدلالة على وجه الخصوص، لكن هذا التغيير هو من البطء بحيث يخفى على الحس الفردي المباشر » [10]، ومن هنا، تتجلى لنا أولى خصائص التغير الدلالي وهي :بطؤه وعدم التحكم به.

أصبح فضول من القول أنه ليس للإنسان القدرة على التحكم في تغير اللغة على الرغم من أنه السبب المباشر في حدوثه، وهنا ما يؤكد أن اللغة ليست قيمة مطلقة-كما بينا سالفا-بقدر أن الإنسان ليس قيمة مطلقة، والتغير الدلالي بهذه الرؤية «لا يستشير أحدا، إنه ماض في طريقه، لأنه انعكاس مباشر لكل نواحي التعبير، فاللغة مرآة للمجتمع كما أن التطور اللغوي لا يقف عند مستوى بعينه من المستويات اللغوية، بل يشمل المستويات اللغوية كلها » [11]، لكننا نركز على المستوى الدلالي أو جانب المعنى، لأنه صنوان اللغة،ووجها الذي تظهر به، أو فلنقل أن المعنى (الدلالة) هو روح اللغة، والتغير الطارئ على الروح يكون أبين و أجلى من التغير الطارئ على الجوانب والحواشي .

التطور الدلالي للّغة هو الميدان الأوسع، والذي يشمل بحوث الدارسين واهتمامهم، لأنه يخلق مسافات إيحائية كبيرة، ولا يتوقف الإشعاع الدلالي عند حد الكلمة فحسب، بل يلقي بظلاله على المعنى المجمل ككل ؛حيث أنه «يحدث في مادة اللغة التي تؤلف بنيتها و كيانها؛ وأعني بذلك الألفاظ التي تُبني منها اللّغة، هذه الألفاظ يخضعها الاستعمال فتحدث فيها خصوصيات معنوية ذات ظلال دلالية جديدة يستدعيها الزمان و المكان، وليست العربية بدعا من بين اللّغات، ذلك أن اللّغات كافة تخضع لسنة التطور، وأنّ الكلمة في كثير من اللّغات مادة يعمل فيها الزمان ويؤثر فيها فتجد فيها الحياة، فتتطور وتتبدل، وربما اكتسبت خصوصيات معنوية أبعدها الاستعمال عن أصلها بعدا قليلا أو كثيرا. » [12]؛بمعنى أن تغير الدلالة يعطي فرصا مضاعفة لخلق معان جديدة مع القدرة على الاحتفاظ بالمعاني السابقة.

فضلا على كل ما سبق ذكره، يمثل التغير الدلالي مرآة عاكسة لتغير أهواء المجتمعات، و أحوالهم النفسية و الروحية ، وطبيعة حياتهم الاجتماعية ؛لأنه وببساطة يحدث «تدريجيا في أغلب الأحوال، ولكنه قد ينتهي آخر الأمر بتغير كبير في المعنى، وأن تغيرات المعنى غالبا ما تكون صدى لتغير الميول الاجتماعي، وأن هذه الميول أوضح في حالة التغير الدلالي» [13] منها في تغيرات أخرى على مستوى اللغة.

4)-طريقة حدوث التغير الدلالي :

وللتغير الدلالي طريقة لحدوثه، يبسطها **ستيف أولمان*** ويعرضها في صورة واضحة حيث يقول :«بما أن المعنى هو علاقة متبادلة بين اللّفظ والمدلول، يقع التغيير في المعنى كلما وجد أي تغير في هذه العلاقة الأساسية، وينحصر أوجه التغير في هذه العلاقة في صورتين اثنتين: فقد يضاف مدلول جديد إلى مدلول قديم،أو كلمة جديدة إلى مدلول قديم.» [14]؛ فمادام اللفظ هو صورة المعنى، والمعنى هو روح اللفظ، كلما حدث تشويش في هذه العلاقة، حدث معه تغيير في الدلالة، بحكم أن اللفظ لم يصبح قادرا على التعبير عن معناه، أو أن المعنى لم يصبح مساعدا على تجلي الدلالة المرادة، وبالتالي، يصبح لزاما هنا أن يقوم المعنى بارتحالات أخرى إلى فضاءات أكثر مواءمة و تخصيصا أو تعميما.

وبعد أن يظهر التغير الدلالي في لغة ما، يرى **ستيف أولمان** أنه يمر بخطوتين أساسيتين؛ الأولى تحدد بالتغير نفسه، أو لحظة إبداع معنى جديد بطريقة أو أخرى، وينبه **أولمان** في هذه المرحلة أن هذا لا يعني أنها مخصوصة بفرد واحد، فقد يصدف أن تتوافق جماعة أفراد على نفس التغير لتوفر نفس ظروف حدوثه في حيز مكاني مختلف، أما المرحلة الثانية، هي انتشار هذا التغير وذيوعه على الألسن، وقبوله في الأذهان،و استعماله كتعبير يوافق الميول والظروف الراهنة [15]

5)–عوامل التغير الدلالي

العوامل التي تؤدي إلى تغير دلالة الألفاظ في لغة ما كثيرة قد يضيق المقام عن ذكرها كلها، سنجدها مبسوطة في الكتب التي عنيت بالتنظير لعلم الدلالة، بعض هذه العوامل قد يكون مقصودا كاستحداث كلمات جديدة من قِبل المجامع اللغوية، ولكن غالبا قد لا يكتب لهذه الكلمات الجديدة الذيوع و الانتشار بين الجماعة المتكلمة بهذه اللغة؛ لأنها مبتذلة غير عفوية، أما العوامل الأكثر تأثيرا وديمومة في اللغة والتي عُني بها الباحثون والدّارسون.

إن السبب الرئيس من وراء اهتمام الباحثين بهذا النوع من تغير اللغة أنه فضلا عن أن هذا التغير عفوي، فإنه متغير بحد ذاته؛ بحيث «لا يكون واحدا في جميع اللغات من ناحية شموله، فقد يكون شاملا لساحات واسعة من اللغة، أو مقصورا على نواح دون أخرى كما أنه قد يكون بطيئا لا يحصل إلا في الآماد الطويلة أو سريعا تبدو نتائجه في زمن قصير لا يعدو العشرات من السنين » [16]، وهو ما يجعل من مسألة حدوثه أمرا ملفتا ومستحقا للدراسة؛ وذلك لأن طرق حدوث هذا التغير غير مقصودة يصعب، بل يستحيل التنبؤ بها

ومن أكثر العوامل تأثيرا في تغيير دلالة لفظ ما:

*عامل الحاجة :

ما الذي يدفع جماعة متكلمة بلغة ما إلى استحداث كلمة جديدة أو معنى جديد؟...بطبيعة الحال الحاجة إلى شيء ما هي التي تدفعنا إلى البحث عنه، أو استحداثه، وهذا الأمر ينطبق على اللغة، فعندما يُستحدث مفهوم جديد، ستبحث الجماعة المتكلمة عن ثوب جديد لتكسي به هذا المفهوم، وبالتالي هذه الحاجة هي التي تدفعهم إلى استحداث كلمات ستسم هذه اللغة بلون من التغير والتطور، وقد وجد الدارسون أن «أمر التحول الدلالي يستند إلى قانون الحاجة، والحاجة تولد الوسيلة، بل وتولد العضو المنجز لها، ولما كانت اللغة صيرورة حية على درب الزمان لزم أن يكون لها نوافذ مفتوحة على مضاعفات الوجود والحضارة، بل إن مشراع اللغة لا يتسنى له في لحظة من لحظات وجودها أن يغلق سجل حاجات الإنسان منها » [17]، وعليه، تصبح الحاجة قانونا؛ لأنه عن طريقها تصك لفظة جديدة، ويجب أن تلائم في مواصفاتها المعنى الجديد، فتصبح الحاجة هي الضابط أو الميزان الحاكم لوزن اللفظ، ومتطلبات المعنى.

ويرى **إبراهيم أنيس** أن هذا العامل-الحاجة-«يتم عادة على يدي الموهوبين من أصحاب المهارة في الكلام كالشعراء

والأدباء»[18]، ولكن إذا تصفحنا تاريخ تغير اللغات، سنجد أنه ليس الأديب فقط هو الذي يحتاج إلى كلمات جديدة، أو تقوية أثرها في الذهن، بل كل الجماعة اللغوية تحتاج من وقت لآخر كلمات أكثر تعبيرا ووظيفية لتؤدي مهام إبلاغية أو إبداعية .

وفي بعض الأحيان، لا تكون هذه الحاجة ناتجة عن نقص في الرصيد اللفظي للغة ما، بقدر ما تكون هناك حاجة إلى إثراء الرصيد اللفظي لهذه اللغة، وإضافة أمثلة جديدة إلى المترادفات الموجودة بالفعل[19].

***عـامل التطور الاجتماعي والثقافي :**

عندما يغير الإنسان من أحواله الاجتماعية والثقافية، فإن هذا التغير سوف يلقي بظلاله على كل جوانب هذا الإنسان بما فيها النفسية والفكرية، ومادامت اللغة أهم جوانب حياة الإنسان، فإنها هي الأخرى تتأثر بهذا التغيير الاجتماعي والثقافي، فيحدث فيها هي الأخرى تغيرات تكون متماشية مع الحالة الاجتماعية والثقافية، وتكون بنفس عمقها .

هذا العامل مؤثر في كل اللغات بدون استثناء، وذلك لأنه ما من أمة إلا وقد عرفت بطريقة أو أخرى ثورة من أجل تحسين

أحوالها، وهذه «الثورات الاجتماعية، ولاسيما الفكرية والتطور الاجتماعي بسبب ما تؤدي إليه في غالب الأحوال إلى تطور لغوي، فتموت ألفاظ وتحيا أخرى، وتبدل معاني بعض الألفاظ، وهي الـــتي كان لها معنى، واستعيرت لمعنى جديد، هو نتيجة تلك الثورة، وذلك التطور الفكري »[20]. فتتجدد ذخيرة المجتمع اللغوية، بتجدد أحواله الاجتماعية، وتغير منظاره الفكري.

لعل أكثر الثورات تأثيرا في حياة الشعوب هي الثورات الدينية، ولكن هناك من الثورات ما خبا تأثيرها بتقادم الزمن، وهناك منها ما كُتب لها الخلود على غرار الإسلام، «وإن للعوامل الدينية والقومية أثر كذلك في توجيه هذا التطور في وجهة دون أخرى، مع أن الأصل إمكان سيره في كل من هذه الوجهات دون مرجح»[21]، وما نراه من تغير كبير على اللغة العربية بفعل الإسلام و القرآن لهو أفضل دليل على مذهبنا هذا، فألفاظ **الإيمان والفسق، الكفر، الصلاة، الزكاة، والتقوى**....ظهرت بمعانيها الجديدة بظهور الدين الإسلامي.

وقياسا على ما سبق، يملك كل تيار فكري سواء أكان ذا صبغة عقائدية أم علمية يملك ترسانته اللغوية، وبالتالي يفرض حضوره الدلالي الذي يجسد له كينونته الفكرية.

من أنواع رقي الأمة الثقافي أن تنتقل في مستواها الفكري من المحسوسات إلى المجردات، ونشبهها في ذلك بطريقة نمو الطفل الفكري، وعندما نقول أن لغة أمة ما قد تطورت، فقد يكون في شكل «الانتقال من الدلالات الحسية إلى الدلالات التجريدية نتيجة لتطور العقل الإنساني ورقيه، وانتقال الدلالة من مجال المحسوس إلى المجال المجرد يتم عادة في صورة تجريدية، ثم قد تنزوي الدلالة المحسوسة وتندثر، وقد تظل مستعملة جنبا إلى جنب مع الدلالة التجريدية» [22]؛لتساير التطور، وليظهر نمو الجماعة اللغوية الفكري والثقافي عن طريق نموها اللساني.

وفضلا عمّا سبق، قد يؤثر التطور الاجتماعي والثقافي في لغة ما عن طريق تلاعب أفرادها بها في الاستعمال، ونعني بذلك تسييرها، «فكثرة استعمال العام مثلا في بعض ما يدل عليه يزيل مع تقادم العهد عموم معناه، ويقصر مدلوله على الحالات التي شاع فيها استعماله، ولدينا في اللغة العربية وحدها آلاف الأمثلة من هذا النوع » [23]، ونفس الكلام ينطبق على كثرة استعمال الخاص الذي يصبح مع الممارسة والاستعمال دالا على العموم.

والتطور الاجتماعي قد يحمله الخلف الذين ورثوا عن أسلافهم لغتهم، فيجدون أن بعض المظاهر الاجتماعية قد تحتاج إلى تجديد وتنمية، من هذه المظاهر اللغة، فانتقال اللغة من

السلف إلى الخلف ليس انتقالا سالما في كل الأحوال، وإنما يعتري اللغة كثير من التبديل والتغيير الذي اقتضته ضرورة الانتقال، وفرضه تطور الخلف وزمنهم، فكثير من الكلمات لا يفهمها الخلف بنفس طريقة فهم أسلافهم لها، لذلك فتوظيفها من قبلهم سوف يكون حسب فهمهم لها، فنجد تغيرات تكون جذرية في بعض الأحيان لاستعمالات بعض الألفاظ.

6)– جمالية التغير الدلالي في الخطاب القرآني :

نزل الخطاب القرآني بلغة العرب، ولكنه في الوقت ذاته أُعتبر أسلوبا مغايرا لأساليب العرب في تعبيراتهْ و إيحاءاته، وكانت دلالة المفردة القرآنية تنبض حياة، وتشع تفردا، فإذا أخرجنا تلك المفردة من السياق القرآني، نجدها عادت إلى بساطتها، وهو ما يلقي عل السياق القرآني ظلالا من التميز الذي لا يمكن أن يضاهي، وكأنه تجاوز اللغة إلى ما وراءها .

هجرت الألفاظ العربية في من معانيها، لتطاوع أسلوب الخطاب القرآني، فغدت معاني جديدة في حوامل قديمة، وهنا تكمن جمالية التغير الدلالي في الخطاب القرآني، لم يكن يرغم المفردة على التنازل عن معانيها القديمة لخدمة المعنى الجديد، بل جعلها أكثر مرونة، بحيث أضحت طاقتها الإستعابية أكبر، فراحت تحمل المعنى الجديد في مواضع، ثم تعبر عن المعنى القديم في مواضع أخرى.

وإذا أردنا أن نسبر أغوار هذا الخطاب المتفرد، لنحاول العثور على السر الكامن من وراء هذا الاستعمال، سنجد أن المفردة لم تكن تعامل على أساس أنها حامل للمعنى ذات حدود معينة، وإنما كبؤرة للإشعاع الدلالي الذي لا ينضب ولا يتوانى في التعبير عن أي معنى كان، لتشكل لنا، دوائر دلالية تضع المتلقي لهذا الخطاب في قلب ظاهرة أسلوبية ودلالية تفرض عليه أن يكون متيقضا دائما، مسايرا للأسيقة القرآنية، حتى يتمكن من تحديد المعنى المراد من جملة التغييرات.

إنّ البّحث في اللّفظة القرآنية يتطلّب خصوصيّة متفرّدة، وذلك من أجل الوصول إلى أبعد مدى ممكن في أعماق الخطاب القرآني، فعند حديثنا عن الحقائق العرفية، وفي خضمّ بحثنا عن سريانها في متن النّص القرآني يعني أنّنا إزاء نمطين مختلفين من الدّراسة، ولكن على اختلافهما فإن بينهما علاقة متكاملة، فالدّراسة الأولى هي دراسة تأصيلية [4 2]، الغرض منها البحث عن جذور اللّفظة في المعجم الّذي يعبّر عن النّسق الثّقافي للمتكلمين به، ويبرز الجذور التّاريخية لهذه اللّفظة، أمّا الدّراسة الأخرى فهي التّحليل الدّلالي، الّذي ما إنفك علماء الأصول والمفسرين والبلاغيين الّذين تعرّضوا للخطاب القرآني يتّخذونه سندا قويا من أجل الكشف عن تجليات هذا النّص المعجز.

تتجلّى أهمّيّة التحليل الدّلالي لأي مفردة في الخطاب القرآني في أنّ هذا التحليل لا يقف عند حدود الجرد والتعداد فحسب، بل يربط هذه المفردة بكلّ ما له علاقة بالمعنى، ذلك أنّ الخطاب القرآني في حدّ ذاته هو نصّ «يعمل على إحتواء كلّ طاقات اللّغة -كيف لا- وقد تشكّل منه أساس المعجم اللّغوي العربي» [25]، ولا يمكن كشف طاقات اللّغة إلا عن طريق تتبّع دلالاتها ومعانيها، أما الحقائق العرفية في الخطاب القرآني فلتّحليل الدّلالي أهميّة خاصّة إزاءها؛ ذلك أنّ العرف يعتمد على متعارف النّاس، والتّحليل الدّلالي يضع هذه الحقائق في أسيقتها العامّة والخاصّة الّتي قيلت فيها، كما يمسك بطرف الإشعاعات الدّلالية الّتي تولّدها هذه الحقائق حال وضعها في نظامها العام، فالحقائق العرفية واحدة، ولنهب فرضا أنها لفظة "الدّابة" في القرآن الكريم، إذا تتبّعنا ديناميتها في هذا الخطاب، سنجد أنّنا بحاجة إلى وضع هذه اللّفظة في النّظام العام الّذي وردت فيه، والسّياق الخاص الّذي من أجله سيقت، وبه تبيّنت؛ «لأنّ هذه الكلمة حالما أدخلت في نظام خاص، ومُنحت موقعا محدّدا ومعيّنا فيه، اكتسبت العديد من العناصر الدّلاليّة الجديدة الناشئة عن هذا الوضع، وعن العلاقات المتنوعة الّتي شكّلتها لتحملها إلى المفاهيم الرئيسية لذلك النّظام، وكما يحدث غالبا فإنّ العناصر الجديدة تميل إلى التّأثير بعمق في بنية المعنى

الأصلي للكلمة، بل إلى تغييرها جوهريّا» 6 [2]، هذا النّظام الخاص لا يمكن أن يرصده إلاّ جهاز دلاليّ عميق.

---

[1])عبد السلام المسدي،اللسانيات وأسسها المعرفية،دار النشر التونسية،أوت 1986،ص27

[2])جوزيف فندريس،اللغة ،تر.عبد الحميد الدواخلي-محمد القصاص ، مكتبة الأنجاو مصرية، القاهرة، 1950ص 240

[3]) محمود تيمور،مشكلات اللغة العربية،مكتبة الآداب و مطبعتها، دت،دط ،ص 26

[4]) عبد السلام المسدي ن التفكير اللساني في الحضارة العربية ،ص 94

[5]) حاتم علو الطائي،نشاة اللغة العربية وأهميتها،مجلة دراسات تربوية ،العدد 06 ،2009 ،ص 195

[6]) عليان بن محمد الحازمي، علم الدلالة عند العرب، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية و آدابها ، ج15 ، عدد 27 ،جمادى الثانية 1424 ، ص714

[7]) جوزيف فندرس ،اللغة، ص246

[8]) علي عبد الواحد وافي،فقه اللغة،دار نهضة مصر للطباعة والتوزيع، مصر، ط2، 2004، ص75

[9]) عبد السلام المسدي،التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص92

*) القيمة المطلقة هي التي لا يحدها الزمان و لا المكان ،تلتمس لذاتها ، وتطلب كفاية .

[10])عبد السلام المسدي ،اللغة بين المعيار و الاستعمال ،مقال في الملتقى الدولي الثالث للسانيات ،سلسلة اللسانيات، الجامعة التونسية، العدد 06 ،1986،ص79

[11]) ستيف أولمان ، دور الكمة في اللغة ،تر.محمد كمال بشر ، مكتبة الشباب ،دط ، دت . ص170

[12])إبراهيم السامرائي ،العربية تطور وتاريخ ، مكتبة المعارف ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1993 ، ص375

[13]) محمود السعران ، علم اللّغة ، دار النهضة العربية ،بيروت ، لبنان ، دط ، ص280

[14])ستيف أولمان ، دور الكمة في اللغة ، ص152

[15])ينظر:المرجع نفسه،ص154

[16]) محمد المبارك ، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، دت، ،ص33

[17]) عبد السلام المسدي ، اللسانيات وأسسها المعرفية ، ص 98

[18])إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، المكتبة الأنجلو مصرية، مصر، ط5، 1984، ص 145

[19])ينظر:ستيف أولمان ، دور الكلمة في اللغة، ص 152

[20])محمد المبارك ، فقه اللغة، ص 214

[21])المرجع نفسه ،ص 33

[22]) مختار عمر ، علم الدلالة، دار عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998، ،ص238

[23]) علي عبد الواحد وافي ، علم اللغة، ص 320

[24]) التأصيل ويقال له أيضا التأثيل والإثالة وعلم التجذير وعلم تاريخ الألفاظ والإتيمولوجيا) هو عملية لسانية تعتمد المقارنة بين الصيغ والدلالات لتمييز الأصول والفروع. ومن ناحية أخرى عملية تاريخية حضارية؛ لأنها تستعين بدراسة المجتمعات والمؤسسات وسائر العلوم والفنون للبتّ في القضايا اللّسانياتية، بالإضافة إلى مقارنة الألسن لمعرفة أنسابها وأنماطها؛ لأن اللسان الذي يكون فرعا تكون ألفاظه فروعا يكون التأثيل بدراسة الأصل التاريخي للكلمات، ويعتمد في ذلك على تتبع تطور الكلمة من خلال الوثائق والمخطوطات، وأحيانًا تاريخ المجموعات البشرية الناطقة بهذه الكلمات

[25]) طاهري حليمة، آليات التعليل ووجوه التأويل لدى الأصوليين-بحث في الاجراءات التطبيقية لدى علماء الأصول-،ص 103.

[26])توشيهيكو إيزوتشو، الله والإنسان في القرآن-علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم-، تر: هلال محمد الجهاد، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2007، ص44.